## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستهديه، ونتوكل عليه ونؤمن به، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١ .

أما بعد

نزل القرآن أول ما نزل؛ والبشرية تعيش في بحر متلاطم من الظلمات، فبعث جيلا أحيا قلبه وروحه ؛وأنضج فكره ولبه؛ وفك عنه الأغلال؛ ووضع عنه الآصار، فانطلقوا في الآفاق فاتحين ومبشرين، يخرجون الناس من الظلمات إلى النور، ويبينون سبل الخير،ويهدون إلى أقوم السبل، فهيؤا بالمنهج الرباني أسباب الحياة الكريمة للبشرية جمعاء، فمن آمن به هداه إلى صراط مستقيم، ومن لم يؤمن به استضاء بضوئه واستفاد من الحضارة التي أقامها.

ثم خلف اللاحقون السابقين في الأرض والميراث، وضلوا عن المنهج والطريق، فتاهوا بين نظريات منحرفة القصد والإرادة، ووقفوا حيارى مستكينين لغيرهم فأُخذ جل ما في أيديهم ؛ وأصابتهم الذلة في كل جهة ومن كل اتجاه.

وما أحوجنا اليوم إلى استلهام النور الإلهي من المنهج الرباني؛ لنحيي به أرواحنا وننير به عقولنا، ونبصر من خلاله طريق الرقي والعزة قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة: ١٥ – ١٦ .

ولكي نحقق غايات آيات القرآن الكريم، قياما بواجب الاستخلاف في الأرض، فإن ذلك يستدعي قراءة واعية بمنهجية أصيلة تحفظ للقرآن مكانته ومقصده، ويعيش واقعا في دنيا الناس يستضيئون بضوئه وينهلون من معينه، ومن هنا سنقف في هذه الدراسة والتي تحاول الإجابة على السؤالين الآتيين:

١–كيف نفرق بين قراءة الخطاب القرآني القراءة الواقعية، وتحقيقه لمقاصده الشرعية زمانا ومكانا، وبين ما يطلق من مفهومات وألفاظ، تذيب ألفاظه، وتشكك في بنيته؟

٢–ما مدى جدوى القراءة الحداثية للخطاب القرآني، وعلاقتها بمقاصد الشريعة؟

**منهجية الدراسة:**

ستتبع الدارسة المنهج الاستقرائي لمعرفة النظرة الأصولية للخطاب القرآني، وكذا القراءة الحداثية، والرؤية التي بناها الحداثيون للخطاب القرآني، ومن ثم يتبعه التحليل للأقوال والمقارنة والنقد والإيضاح لما يمكن إيضاحه.

**خطة البحث :**

قُسمت الدارسة إلى مبحثين :

**المبحث الأول :التعريف بمصطلحات البحث ويشمل ثلاثة مطالب :**

المطلب الأول: مفهوم الخطاب.

المطلب الثاني: مفهوم النظر المقاصدي.

المطلب الثالث: مفهوم القراءة الحداثية.

**المبحث الثاني :أسس النظر المقاصدي والقراءة الحداثية للخطاب القرآني، ويشمل أربعة مطالب :**

المطلب الأول: وضوح المقصد.

المطلب الثاني: اللغة.

المطلب الثالث: المنهجية.

المطلب الرابع: الخطاب القرآني ومكانته.

**الخاتمة:** وتشمل :خلاصة البحث ونتائجه.

المصادر والمراجع.

# المبحث الأول

# التعريف بمصطلحات البحث

## المطلب الأول

## الخطاب

**يطلق الخطاب في معاجم اللغة العربية على:**

١. الأمر الذى تقع فيه المخاطبة: قال ابن منظور: "وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا فهما يتخاطبان،والخطبة هي اسم للكلام الذى يتكلم به الخطيب وهى مثل الرسالة التي لها أول ولها آخر، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب وكذلك المشاورة"[١] فابن منظور[٢] اعتبر الخطاب مرادفاً للكلام، وجعل له بداية ونهاية دون إغفال خاصية التفاعل فيه، ومن ثم فالخطاب في لسان العرب: هو كلام متفاعل بين متخاطِبَين أو أكثر.

٢. "الكلام والرسالة، والخطاب المفتوح وهو: خطاب يوجه إلى بعض أولى الأمر علانية، والخطبة هي الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس

---

١- ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، ١٩٧٩، ج ١٣ص، مادة خطب.

٢- محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي – صاحب لسان العرب – الإمام اللغوي الحجة – ولد بمصر وقيل في طرابلس الغرب سنة ٦٣٠ هـ وتوفي سنة ٧١١ هـ – ينظر: الزركلي، الأعلام طبعة١٩٨٤م،ج٧ص ١٠٨.

لإقناعهم، والخطيب هو المتحدث عن القوم"[١]، فقد زاد عن لسان العرب في جعل الخطاب موجهاً إلى أشخاص محددين وجعل هدفه الأساسي الإقناع.

٣. الخَطب: مصدر خَطَب: الحال والشأن. " قال فما خطبكم أيها المرسلون " الحجر:٥٧، الذاريات: ٣١. الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه[٢].

٤. الخطاب: " نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخصُّ سواهما، ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية- سواء أكتب نظماً أم نثراً – أم من المقامة في الأدب العربي"[٣].

أما في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب " مصطلح ألسني حديث يعني حديثا، محاضرة، خطابا، خاطب، حادث، حاضر، ألقى محاضرة، وتحدث إلى"[٤]

ويطلق لفظ الخطاب: على مجموع المعاني التي يدل عليها الخطاب سواء قصد المتكلم أحاد هذه المعاني أم لا، أو بعبارة أخرى: مجموع المعاني التي يستطيع متلقي الخطاب في

---

١- مجموعة من المؤلفين(مجمع اللغة العربية)، المعجم الوجيز، الناشر :م وزاره التربية والتعليم – مصر تاريخ الطبعة: ١٩٩٤. مادة خطب ص٢٤٣.

٢- محمد الباشا، الكافي معجم عربي حديث، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤١٤.

٣- مجدي وهبة،كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٤ بتصرف ص ١٥٩.

٤- ينظر: الياس انطون الياس، قاموس الياس العصري، دار الجليل، بيروت،١٩٧٢، ص١٩١.

ضوء ما يسمح به الخطاب أن يفهمها، أو يعقلها، أو يستنبطها، أو يستنتجها، أو يستخلصها من الخطاب[١].

وعلى هذا نجد علماء أصول الفقه[٢] يذكرون: أن الألفاظ قوالب للمعاني المستفادة منها، فتارة تستفاد منها من جهة النطق تصريحاً، وتارة من جهته تلويحاً، فالأول يسمى دلالة المنطوق، والثاني يسمى دلالة المفهوم. و(المفهوم) ينقسم إلى مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة. فمفهوم الموافقة حيث يكون المسكوت عنه موافقاً للملفوظ به، فإن كان أولى بالحكم من المنطوق به، فيسمى فحوى الخطاب، وإن كان مساوياً له، فيسمى لحن الخطاب .

أما مفهوم المخالفة: فهو حيث يكون المسكوت عنه مخالفا للمذكور في الحكم إثباتاً ونفياً، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به ويسمى دليل الخطاب،لأن دليله من جنس الخطاب، أو لأن الخطاب دال عليه.

مما سبق يتضح أن لفظ الخطاب يطلق على: الكلام والرسالة سواء كانت منطوقة أم مكتوبة تتضمن توجيها لإقناع الناس أو إيصال معاني معينة محددة إليهم.

**الخطاب القرآني:**

لم نجد تعريفا محددا للخطاب القرآني من قبل المفسرين القدامى، بل لم يطلق هذا اللفظ على نفس الآيات، وإنما أطلقها الأصوليون على الحكم الشرعي فقالوا :هو الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[٣].

---

١- أيمن صالح، تلقي النص الديني، إسلامية المعرفة، السنة العاشرة، العدد٤٠،٢٠٠٥ ص١٧.

٢- ينظر: الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول،مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة السابعة١٩٩٧م،ص٢٣.

٣- ينظر: الشوكاني، المصدر نفسه،ص٣٠٢.

فمفهوم الخطاب: "يعاني – مثل كثير من المصطلحات المتداولة حديثاً– من رخاوة في المفهوم، بسبب ما تسرب إلى هذه المنظومة من خلال الاحتكاك بالفكر الحداثي، وتم تداوله دون ضبط عميق له، وعلى الرغم من أن مفهوم الخطاب مرتبط بشكل وثيق بالنصوص من خلال ارتباطه بمعانيها، إلا أن الخطاب من جهة أولى ليس هو المعنى الحرفي والمباشر للنص، وليس النص من مشمولاته، إنما هو قائم في المعنى الذي يستقى من المعنى المباشر والحرفي للنص، ومن جهة ثانية فإن الخطاب دوما يمثل فعلا اجتماعيا بحيث لا يمكن فهمه بمعزل عن تأثيره وتداخله في العلاقات الاجتماعية في الفاعلين، ومن جهة ثالثة فإن ارتباطه بالنسق الاجتماعي يحيلنا إلى موضوع السلطة، وموضوع رؤية العالم"[1].

ولكن من خلال التعريفات السابقة للخطاب يمكن أن نُعرف الخطاب القرآني بأنه: يشمل دلالات الآيات القرآنية على الحِكم والأحكام الشرعية، وما يفهم من خلال القصص والأمثال التي ضربها القرآن لتحقيق الغاية من الخلق، والقيام بواجب الخلافة في الأرض.

---

١ – ينظر: عبدالرحمن الحاج،تأسيس أصول التفسير وصلته بالبحث الأصولي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، العدد ٣٧، ٢٠٠٥.

## المطلب الثاني مفهوم النظر المقاصدي

**تعريف المقاصد لغة** :تطلق مادة( ق-ص-د )في اللسان العربي ويراد بها المعاني الآتية:

أ- الاستقامة والاعتدال ومنه قوله تعالى:« واقصد في مشيك » سورة لقمان، الآية: ١٨.

ب- الاعتزام والتوجه، والنهود والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان أو جور.

ج- الفل والكسر، يقال، انقصد السيف: أي انكسر، وتقصد: إذا تكسر، وقصد الرمح: إذا كسره.

ح- الغاية والنهاية، يقال مقصدي كذا، أي هدفي وغايتي.

د- الاكتناز والامتلاء ومنه ناقة قصيد أي مكتنزة ممتلئة من اللحم، والقصيد من الشعر ما تم سبعة أبيات[١].

وملخص كلام اللغويين: أن مادة( قصد ) في الاستعمال العربي، تدل على معان مشتركة ومتعددة، إلا أن الغالب عند إطلاقها، انصرافها إلى العزم على الشيء والتوجه نحوه، وإشباع الشيء المتوجه إليه.

**المقاصد اصطلاحا:**

لم يكن غائبا عن علمائنا القدامى استحضار المقاصد، ودلالات الآيات القرآنية على المقاصد، والعمل بها في اجتهاداتهم،رغم أن الباحث يندر عليه أن يجد تعريفا محددا

---

١ - تنظر هذه المعاني في: ابن فارس، مقاييس اللغة: ٥/٩٥- ٩٦. الأصفهاني، المفردات: ص: ٤٥١-٤٥٢.ابن منظور، المصدر السابق: ٣/٣٥٣.

للمقاصد، وقد تتبع بعض الباحثين[١] بعض التعابير والاستعمالات لكلمة المقاصد قديما وحديثا، فوجد أنه يعبر عن المقاصد عندهم بالحكمة المقصودة بالشريعة، ويعبر عنها أيضا بمطلق المصلحة، ويعبر عنها كذلك بنفي الضرر ورفعه وقطعه، كما يعبر عنها بدفع المشقة ورفعها، ويعبر عنها كذلك بالكليات الشرعية الخمس الشهيرة، ويعبر عنها أيضا بمعقولية الشريعة وتعليلاتها وأسرارها، كما يعبر عنها بلفظ المعاني[٢].

**أما بالنسبة للمعاصرين**: فقد عرفها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة، وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معاني من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها "[٣].

وإذا كان ابن عاشور-رحمه الله- قد قصر تعريفه هنا على المقاصد العامة للشريعة، فإنه في قسم آخر من كتابه " مقاصد الشريعة الإسلامية " ذكر المقاصد الشرعية الخاصة وبين أنها:" الكيفيات المقصودة للشارع، لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة "[٤].

---

١ - الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي في كتابه: الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته.

٢ - ينظر :الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي،الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته، ١/٤٨-٤٩-٥٠-٥١.

٣- ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية١٤٢١هـ-٢٠٠٢م(ص/٥٠).

٤- المصدر نفسه ص: ٣٠٦-٣٠٧.

أما العلامة علال الفاسي، فقد قال في تعريف المقاصد عموما: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[١].

أما الدكتور أحمد الريسوني، فقد بنى تعريفه للمقاصد على ما سبق، إذ قال: "وبناء على هذه التعريفات والتوضيحات لمقاصد الشريعة لكل من ابن عاشور، وعلال الفاسي، وبناء على مختلف الاستعمالات، والبيانات الواردة عند العلماء الذين تحدثوا عن موضوع المقاصد، يمكن القول: إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[٢].

وخلاصة القول إن هذه التعريفات في جملتها تدور على كون المقاصد هي: الغايات من إنزال الشريعة، وفرض الأحكام بما يحقق من خلاله مصالح العباد في العاجل والآجل.

من ما سبق يتبين أن النظر المقاصدي في القرآن الكريم: هو النظر في مدلولات الخطاب القرآني باعتبار تحقيق الغايات التي أنزل من أجلها في دنيا الناس وأخراهم.

---

١- علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الخامسة — ١٩٩٣،ص:٧.

٢- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالي للفكر الإسلامي١٤١٦هـ-١٩٩٥م ص: ٦-٧. وينظر كذلك للمؤلف نفسه "كتاب الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده،منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٩٠ ص: ١٣.

## المطلب الثالث مفهوم القراءة الحداثية

### القراءة لغة واصطلاحا:

**تعريف القراءة لغة:** من قرأه قرءً وقراءةً وقرآناً: إذا تلاه ، وقرأت الشيء قرآناً إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم: ما قرأت الناقة جنيناً أي لم يضم رحمها على ولد ، وكل شيء جمعته فقد قرأته..

وقارأه مقارأة وقِرَاءً: دارسه ، واستقرأه طلب منه أن يقرأ ، والقرّاءُ الحسن القراءة ، وتقرأ تنسك ومنه المتقري والقارئ ، وتقرّأ: تفقه. وقرأ عليه السلام أبلغه ، ومعنى قرأت القرآن تلفظتُ به مجموعاً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٨. أي فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك ،[١] وقرأ الكتاب: تتبَّع كلماته نظراً ونطق بها، أو تتبع كلماته وإن لم ينطق بها،وسمِّت(حديثاً ) بالقراءة الصامتة، وقرأ الآية: نطق بألفاظها عن نظر، أو عن حفظ، واستقرأ الأشياء: تتبَّعَ أفرادها لمعرفة أحوالها، وخواصَّها[٢]

**تعريف القراءة اصطلاحا:** يدل مصطلح "القراءة" على جملةِ معانٍ اصطلاحية؛ أهمُّها:

١- التلاوة.[٣] والتي تعني:ضمُّ العناصر اللغوية بعضها إلى بعض في الترتيل[١]. وهذا المعنى يحيلنا إلى مفهوم القراءة لدى علماء القراءات[٢].

---

١- يظر: ابن منظور، المصدر السابق، مادة قرأ ج١/١٢٨ . ١٣٠،، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، مادة قرآن، ج١/٣٠،، ومختار الصحاح للإمام الرازي، مادة قرأ ، ج١/٢٢٠.

٢- ينظر: سعدي أبو جيب،القاموس الفقهي،، مادة( قرأ ) ص: ٢٩٧، ط: دار الفكر، دمشق . سورية.

٣- بطرس البستاني، "محيط المحيط" مادة"قرأ".

٢- تتبع كلمات النص المكتوب نظراً، سواء وقع النطق بها(قراءة جهورية) أم لم يقع (قراءة صامتة)[٣].

٣- تحريك النظر على رموز الكتابة منطوقة بصوت عالٍ أو من غير صوت، مع إدراك العقل للمعاني التي ترمز إليها في الحالتين"[٤].

**الحداثة لغة واصطلاحا:**

الحداثة لغة: من حدث حدوثا وحداثة فهو حديث، ويقال حدُث نقيض قدُم[٥].

الحداثة اصطلاحا:من المفهومات العائمة التي لم تضبط عند أهلها الأصليين (الغرب)، فقد يراد بها القراءة وفق نمط معين اشتهرت به القراءات الغربية، وقد يراد بها إعمال العقل وتطويع النص حسب ما تراه قناعات القارئ.

---

١- الراغب الأصفهاني،معجم مفردات ألفاظ القرآن"،مادة"قرأ" –أبي البقاء الكفوي،الكليات"(مادة"القراءة"...

٢- القراءة،عندهم، هي "طريقة تلاوة ونطق ألفاظه،مخففة أو مشددة، مُمَالة أو مشْمومة، ممدودة أو مقصورة. ولا بد فيها من التلقي والسماع". محمد شفيق غربال "الموسوعة العربية الميسَّرة"، إعداد:، مادة"القراءة". وانظر أيضاً للتهانوي "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" مادة"القراءة".

٣- "المعجم الوسيط"، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة "قرأ"...

٤- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة"، مادة"القراءة"... وتستعمل القراءة، بهذا المعنى، في ميادين عدة؛ منها الميدان المسرحي على سبيل المثال. تقول صاحبتا "المعجم المسرحي" إن القراءة "عملية تفكيك للكتابة من خلال دراسة علاقة الدالّ(Signifiant) بالمدلول(Signifié) في العلامة، ومن ربط العلامات بمنظورات دلالية تشكل المحاور الأساسية للمعنى".("المعجم المسرحي"، تأليف:ماري إلياس ودة. حنان قصاب حسن، مادة "القراءة").

٥- الفيروز أبادي،المصدر السابق، مادة حدث.

الحداثة في الفكر العربي" مفهوم مطاط، وغير مستقر، وليس له صورة واحدة، أو شكل محدَّد فهو مفهوم متحرك وشمولي، يشمل كل التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية بكل فروعها التي وفدت لعالمنا العربي"[١].

ولما كان مفهوم الحداثة بهذه الدرجة من التضارب والغموض اختلفت آراء الحداثيين العرب في بيان معناها، وإن اتفقوا على كثير من مقتضياتها ومستلزماتها، فبعضهم[٢] يرى أن المفهوم " مستعمل للدلالة على المميزات المشتركة بين البلدان الأكثر تقدما في مجال النمو التكنولوجي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي"[٣]، وإنَّ" أهم ما يميز المجتمعات التي تتسم بالحداثة قدرتها بخلاف المجتمعات التقليدية على الابتكار والتغيير"[٤]، وإن من أهم لوازم الحداثة" العقلانية، إذ لا تتصور الحداثة بدون عقلنة"[٥]، بينما يرى حنا عبود أن" الحداثة فعل كوني شمولي، وعندما يكون هذا الفعل محليا نطلق عليه اسم التجديد أو جديد "[٦].

أما مفهومها عند الفلاسفة الغربيين أنفسهم، فالحداثة عند سلوترديجك هي: "حركة ذاتية تولد نفسها بشكل ذاتي، والتقدم هو حركة لأصل الحركة، إنها حركة تستهدف زيادة

---

١- د.الجيلاني مفتاح، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم،: دراسة نقدية، الجامعة الإسلامية ماليزيا، دار النهضة الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ص٢١.

٢- ك الدكتور عبد المجيد الشرفي، أحد أبرز الباحثين والمفكرين التونسيين في دراسة الفكر الإسلامي وعلاقته بالحداثة، وهو من دعاة قراءة الموروث الديني الإسلامي اعتمادا على المناهج الحديثة للبحث العلمي.

٣- د. عبد المجيد الشرفي الإسلام والحداثة، الدار التونسية للنشر،١٩٩١م، ص٢٤.

٤- د. عبد المجيد الشرفي،المصدر السابق، ص٢٥.

٥- المصدر نفسه ص٣٥.

٦- حنا عبود، الحداثة عبر التاريخ مدخل إلى نظرية،اتحاد الكتاب العرب، ص٥٧.

القدرة على التحرك"[١]، وهي عند هنري لوفيفر " عبادة الجديد من أجل الجديد[٢]"، ويقول آلان تورين: "أنا أعرف الحداثة اليوم بأنها الدفاع عن الذات بقدر ما هي عقلنة[٣]، ويعرفها جيف فاونتاين، الحداثة: "سلسلة من التحولات في المجتمع المعاصر قائمة على أساس التمدن والتصنيع والعلم والتكنولوجيا والتي أصبحت أساسا لفكرة الشك الديني وعدم الاعتقاد بصحة الكتب المقدسة"[٤].

من أهم خصائص الطرح الحداثي " الثورة الهائجة على القديم وخاصة الدين وما يتصل به، حتى ولو كان الدين فيه وثنية وانحرافاً، وكذلك الجنس والإباحية والانحلال، وأخيرا محاولة تغطية ذلك كله بفكر أو أدب من خلال السعي إلى جديد والبحث عن حديثٍ في تلك الظلمات وذلك التيه[٥].

ومما يمكن أن يلاحظ على الحداثيين العرب " أنهم انبروا لدعوى الانقطاع عن تراثهم، يمجدون تراث غيرهم، وتهربا من مواجهة حاضرهم أو ماضيهم ينتقدونه جملة أو تفصيلا لتبرير اتباع حاضر غيرهم، فالحداثة تعني عندهم انقطاعا عن الماضي إذا كان هذا الماضي هو ماضي الذات العربية نفسها، أما إذا كان ماضي الغرب فهي اتصال واستمرار وثيقين"[٦].

---

١- ينظر:د. باسم علي خريسان، ما بعد الحداثة، دار الفكر. دمشق، ص٤٥.

٢- ما الحداثة"، ص١٥، نقلا عن المصدر السابق، ص٤٦.

٣ - آلان تورين، ترجمة صباح الجهيم،نقد الحداثة ولادة الذات" القسم الثاني، ص٢٠٨.

٤- "post-modernity-Aglobalwetherchange?"Jeff Fountain, -[ نقلا عن: د. باسم علي خريسان المصدر السابق، ص٤٧.

٥ - د.عدنان علي رضا النحوي، الحداثة من منظور إيماني،: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤١٠ – ١٩٨٩،ص٦٦ و٦٧.

٦ - د.سعيدشبار النخبة والأيديولوجيا والحداثة مركز دراسات المعرفة والحضارة. ط٢.س٢٠١٢، ص ٩٨.

**من ما سبق نستخلص الآتي:**

١. لمصطلح "قراءة" معانٍ كثيرة؛ إذ إنه حين يُطلق يشير إلى مساحة واسعة من الدلالات.

٢. عرف مفهوم القراءة تحولا واضحا، وانتقل من المعنى البسيط الشائع إلى المعنى المعقد النقدي. وفي هذا الصدد، يقول محمد عدنان سالم: "لقد تطور مفهوم "القراءة" من المعنى البسيط السهل الذي يتمثل في القدرة على التعرف على الحروف والكلمات، والنطق بها صحيحة؛ وهذا هو الجانب الآلي من القراءة، إلى العملية العقلية المعقدة التي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط، ثم التحليل والمناقشة؛ وهي "القراءة الناقدة" التي تحتاج إلى إمعان النظر في المقروء، ومزيدٍ من الأناة والدقة".[١]

٣. نلمس في عديدٍ من التحديدات السابقة ارتباط القراءة بما هو مكتوب. ففعل القراءة "يتمخض،حتماً، لنص مرقوم"[٢].

٤. يتميز مصطلح الحداثة، عن غيره من المصطلحات، من أنه يستدعي الكثير من الأسئلة والإجابات المتعددة، المرتبطة بمسيرة هذا المصطلح، وواقعه الاجتماعي والحضاري، سواء في فضاء الآخر المعرفي، أو في فضائنا المعرفي.ولعل هذا الاستدعاء الدائم لجملة الأسئلة والإجابات، هو من جراء اختلاف قاعدة الانطلاق، ومعايير التقويم.

---

١- محمد عدنان سالم، القراءة... أولاً"، دار الفكر/ دمشق، ط.٢/ ١٩٩٩، ص٣٤.

٢- الجزائري عبد الملك مرتاض، "القراءة، وقراءة القراءة"، مجلة "علامات في النقد"، جُدَّة، ج.١٥، م.٤، مارس١٩٩٥، ص٢٠٩.

٥. مصطلح الحداثة، كأنه نص مفتوح، على كل مضامين التقدم المعاصر. بحيث إنك لا تفرق بشكل صارم في الكثير من الكتابات، بين مضمون مصطلح الحداثة، وبين المضامين التي تطرحها هذه الكتابات لمصطلح التقدم أو العصرية أو الجديد.ويمتد التداخل، ليشمل المعايير والقيم وأنماط السلوك واللباس وطراز السكن، أي كل مناحي الحياة في آخر المطاف.

٦. الحداثة مذهب فكري وأدبي يحمل جذوره وأصوله من النظريات الغربية، يقوم على أساس التمرد على القديم وتجاوزه، وتفسير النصوص وفق النظريات الفكرية واللغوية الغربية.

وفق ما سبق فإن **المقصود بالقراءة الحداثية**: تلك المدرسة التي تبنى أصحابها فلسفات ومذاهب غربية حديثة، وحاولوا تطبيقها في تفسير القرآن الكريم، متجاوزين الأدوات العلمية التفسيرية المسطرة عند أهل الاختصاص في هذا العلم، ومن أبرز أسماء هذه المدرسة الذين تعاملوا مباشرة مع الآيات القرآنية: محمد أركون، ومحمد شحرور، ونصر حامد... وغيرهم.

## المبحث الثاني

## أسس النظر المقاصدي والقراءة الحداثية للخطاب القرآني

في خلال هذا المبحث سأحاول استنباط بعض الأسس التي يقوم عليها النظر المقاصدي، وكذا الأسس التي تقوم عليها القراءة الحداثية تجاه الخطاب القرآني مبتدئاً بالنظر المقاصدي مقارنا بموقعه في القراءة الحداثية :

### المطلب الأول

### الأساس الأول: وضوح المقصد

**في النظر المقاصدي:**

لم يوضع الخطاب القرآني أو أنزل كيفما أتفق، وكذا لم ينزل لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين، بل جاء القرآن الكريم ليحقق مصالح الأنام في الدنيا والآخرة، وراعى هذه المصالح في كل حكم من أحكام الشريعة، وكل خطاب من نصوص القرآن ودلالاته قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩ .

فبين أن المقصد من إنزال القرآن هو هداية الناس إلى أقوم السبل، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأجر الكبير في الآخرة.وما نزل القرآن إلا ليبين للناس طريق الخير ليتبعوه ويحذر من طريق الشر ليجتنبوه.....ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: ٦٤ .

والمصالح التي دل عليها الخطاب القرآني مطلقة عامة " لا تختص بباب دون باب ولا بمحل دون محل، ولا بمحل وفاق دون محل خلاف"[١]

ولذا نجد الخطاب القرآني قصد المصالح ابتداء قال تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه: ١ - ٢ وفي الوضوح في المقصد ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ المائدة: ١٥ - ١٦ . وقصد النظر والتأمل ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ . إلى غير ذلك من الآيات.....

إن النظر المقاصدي للخطاب القرآني ينطلق دائما من كون صاحب الخطاب له مقاصد معينة ومعان محددة عنده، أراد تبليغها للمخاطب وأراد من المخاطب فهمها واستيعابها وأخذها بعين الاعتبار، وأن اللازم هو تحري مقاصد الخطاب كما يريدها صاحبه والوقوف عندها ، بلا نقصان ولا قصور وأيضا بلا زيادة ولا تجاوز[٢].

ولذلك فإن النظر المقاصدي لا يلتزم التفسير الحرفي للخطاب القرآني ، ولا يكتفي بظواهر النصوص وألفاظها كما لا يغوص في بواطنها بدون مستند واضح،بل يبحث في غاياتها وأبعادها.

إن النظر المقاصدي للخطاب القرآني ودلالاته من أولى مجالات المجتهد، إذ أن الخطاب جاء لتحقيق مصالح الناس في الآجل والعاجل،ففي" النصوص ظنية الدلالة إذ المجتهد يستعين بالمقاصد في فهم تلك النصوص واختيار المعنى المناسب لتلك المقاصد

---

١- الشاطبي: الموافقات ج١ ص٤٥

٢- ينظر: الدكتور أحمد الريسوني،الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده،بتصرف، ص: ٩٢ – ٩٣.

وتوجيه معنى النص بما يخدمها ، وقد يصل الأمر بالمجتهد إلى تأويل النص وصرفه عن ظاهره في حال مخالفة ذلك المعنى الظاهر لمقاصد الشريعة وكلياتها"[١].

وبذلك يكون الخطاب القرآني مجالا من مجالات إعمال المقاصد، بل عدها بعض علماء المقاصد أول مجال اجتهادي يحتاج إلى النظر المقاصدي ، قال الدكتور أحمد الريسوني: " ولعل أول مجال اجتهادي يتوقف على النظر المقاصدي ويستفيد منه هو مجال فهم النصوص وتفسيرها سواء كانت قرآنا أو سنة "[٢]، كما ذكرها الدكتور يوسف أحمد محمد البدوي المجال الأول في إعمال المقاصد:" المجال الأول: فهم النصوص وتفسيرها ومعرفة دلالتها "[٣]، وشرح ذلك بقوله:"ومن المسلم به أن الشارع قصد من أحكامه تحقيق عبوديته وتحقيق مصالح عباده ودفع الفساد عنهم ، فإذا وردت نصوص شرعية تحتاج إلى التفسير والبيان ، فإن هذه النصوص تفسر ويحدد نطاق تطبيقها ومجال إعمالها في ضوء المصالح والمقاصد التي وردت هذه النصوص لتحقيقها والحكم التي جاءت من أجلها"[٤].

---

١- الدكتور نعمان جغيم،طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس، الأردن،ط١٤٢٢،١هـ-٢٠٠٢م، ص:٤٦.بتصرف يسير.

٢- الدكتور أحمد الريسوني،المصدر السابق ص:٩٢.

٣- الدكتور يوسف أحمد محمد البدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، دار النفائس الأردن، ط:٨، ٢٠٠٠مص:١١٥.

٤- المصدر نفسه ص: ١١٥

إن فهم الخطاب القرآني على الوجه الأمثل مفتقر ضرورة إلى العلم بمقاصد الشريعة، ولذلك قرر العلامة الطاهر بن عاشور: أن " أدلة الشريعة اللفظية لا تستغني عن معرفة المقاصد الشرعية "[١].

ومن ثم يرى ابن عاشور أنه:"يقصر بعض العلماء ويتوحل في خضخاض من الأغلاط حين يقتصر في استنباط أحكام الشريعة على اعتصار الألفاظ ويوجه رأيه إلى اللفظ مقتنعا به، فلا يزال يقلبه ويحلله ويأمل أن يستخرج لبه ويهمل ما قدمناه من الاستعانة بما يحف بالكلام من حافات القرائن والاصطلاحات والسياق"[٢].

فالمقاصد تلتمس من خلال الدلالات الواضحة للآيات، فهي ليست كلمة تقال أو شعاراً يرفع وإنما هي مبدأ أصولي له ضوابطه ومعاييره التي تحكمه حتى لا تصبح ذريعة يُتوسَّل بها إلى " تورخة النص"[٣] وإلغائه وتمييعه، فإن تحديد مقاصد الشارع لا ينبني على ظنون وتخمينات غير مطردة [٤].

ومن هنا نرى دلالات الخطاب القرآني واضحة المقاصد بينة الغايات ومن أدلة ذلك ما يلي:

١-بيان مقاصد الشارع من إرسال الرسل وتنزيل الكتب وبيان العقيدة والأحكام وتكليف المكلفين ومجازاتهم، وبعث الخلائق والحياة والكون والوجود... فقد بين الخطاب القرآني أن المقصد من الخلق هو عبادة الخالق سبحانه والامتثال له، وقد دلت على هذا

---

١- ابن عاشور، مقاصد الشريعة ص: ١٤٧.

٢- المصدر نفسه ص: ١٤٧ – ١٤٨.

٣-التورخة اشتقتها من التوريخ وهو لفظ رديف لكلمة تأريخ فيقال تأريخ وتوريخ ينظر: ابن منظور، المصدر السابق " مادة أرَّخ ووَرَّخ وكذلك في الرازي، المصدر السابق. والمقصود به كون النص أنزل لزمن معين وفترة محددة.

٤- ينظر: الشاطبي: المصدر السابق ١ / ٨٠ ود. الريسوني " نظرية المقاصد " ص ٢٧٧.

آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ . وقوله سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٥ ...

٢-بين الخطاب القرآني الكليات الشرعية الخمس(حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال)،واعتبارها أصولا قطعية معتبرة في كل الملل والأمم من خلال القصص القرآني لمن مضى من الأمم، وتقرير الأحكام الشرعية للأمم الباقية.

٣-من الخطاب القرآني استخلصت واستقرت ودونت بعض القواعد الفقهية ذات الصلة بالمقاصد الشرعية، فقد كان المنشغلون بفن القواعد يرجعون كل قاعدة إلى أصلها من القرآن والسنة أو منهما معا، ومن القواعد المبنية على نصوص من القرآن قاعدة :"المشقة تجلب التيسير" وقاعدة: "الضرورات تبيح المحظورات" وقاعدة:" الضرورة تقدر بقدرها" وقاعدة :"العادة محكمة".

٤-من الخطاب القرآني استنبطت العديد من الخصائص العامة للشريعة الإسلامية، مثل: خاصية التيسير والتخفيف، ورفع الحرج، والوسطية، والاتزان، والسماحة، والرفق، واللين،والواقعية، وغير ذلك من الخصائص الكلية والسمات العامة.

وعلى هذا نجد أن الخطاب القرآني في النظر المقاصدي يمثل الوضوح والثبات في الغايات والسعي لتحقيق المصالح وفق قواعد ثابتة تحفظ للإنسان عيشه في الدنيا وتحقق نجاته في الآخرة.

**في القراءة الحداثية:**

أما القراءة الحداثية فتعتبر الرمز والإشارة والمعنى الباطني وتغير المعنى الظاهر وفقا للظروف التاريخية والمكانية،ولذا حسب محمد أركون[١] الواقعة القرآنية تحتاج إلى تحليل أنثروبولوجي[٢]يتيح للمؤول تحليل المنظومة التفسيرية للقرآن من أسطورة ومتخيل ووعي تاريخي، فمثلا عند حديثه عن سورة الكهف وقصة الفتية يعتبرها من قبيل القصص الأسطورية التي تعنى بالتشكيل وتقديم العبرة أكثر من مطابقة الواقع والتاريخ.[٣]

فالقراءة الحداثية هي محاولة لتفكيك المنطق اللاهوتي[٤] القرآني داخل إطار التاريخ عن طريق خرق الممنوعات وانتهاك المحرمات.

والخطاب القرآني في نظر معظم الحداثيين ليس خاضعا لقصد قائله،بل لا بد من أنسنة الخطاب ليتماهى النص بفهم مخاطبه ولذا يقول أبو زيد: "إن القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها ما لم

---

١- الدكتور محمد أركون(١٩٢٨ - ٢٠١٠) مفكر جزائري/فرنسي له توجه ما بعد حداثي(وراء حداثي) ينقد العقل الإسلامي وفكر الحداثة اعتمادا على الأنثروبولوجيا التاريخية ويسعى إلى تأسيس علم "الإسلاميات التطبيقية. .

٢- هي علمُ الإنسان. وقد نُحتت الكلمة من كلمتين يونانيتين هما anthroposومعناها "الإنسان" و logos ومعناها "علم". وعليه فإن المعنى اللفظي لاصطلاح الأنثروبولوجيا( anthropologyهو علمُ الإنسان.

٣- ينظر: محمد أركون،القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني.ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة.بيروت.٢٠٠١ص ١٦٢-١٦٦-١٦٧.

٤- دراسة الإلهيات دراسة منطقية، وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحيون على التحليل العقلاني لفهم المسيحية بشكل أوضح، ولكي يقارنوا بينها وبين الأديان أو التقاليد الأخرى، وللدفاع عنها في مواجهة النقد، ولتسهيل الإصلاح المسيحي، وللمساعدة بنشر المسيحية، ولأسباب أخرى متنوعة.
ينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، كاللاهوت عقيدي،والأدبي، والتاريخي، والفلسفي، والطبيعي وغيرها.

تتدخل العناية الإلهية بوهب البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم ".[١] وهو في حقيقة الأمر يخلط بين الفهم للنص والنص، فالله تعالى لم ينزل القرآن طلاسم ولا رموزاً لا تفهم بل يسره للفهم العام الذي تقام به الحجة لجميع البشر قال تعالى:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) القمر آية(٢٢). وأمر بالتدبر وحث عليه:(•أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء آية(٨٢).

وعلى هذا فإن النظر المقاصدي لا يتجاوز النصوص الشرعية كما تصنع القراءة الحداثية، ولا يضعها في مقابل بعض المصالح والمنافع التي يراها القارئ وفق هوى معين، وإنما يعتمد المصالح المعتبرة والمقاصد الشرعية المرعية في دلالات النص الشرعي قرآنا وسنة إذ " يستلهم الحكم والمصالح التي جاءت النصوص لغايتها مسترشدا بما عرف من عادة الشرع في الأحكام مستعينا بروح الشريعة وعللها المنصوصة وأحكامها المستنبطة، فإذا ما توصل إلى هذه الحكمة وتعرف على تلك المصلحة، فسر النص في ضوئها وحدد نطاق تطبيقه ومجال إعماله على أساسها "[٢].

فالخطاب القرآني في النظر المقاصدي واضح إذ أن الغاية العظمى منه هي تحقيق مصالح الأنام في العاجل والآجل، والقراءة الحداثية تدعي السعي لتحيق المصلحة كذلك، لكن الأصل الذي بنيت عليه باطل الاعتبار، إذ أن القصد غير واضح ابتداء وعدم استقرار نوع المصلحة والمفسدة، فما قرأ بالأمس بأنه مصلحة قد يتغير اليوم ويصبح مفسدة كذلك اعتمادا على القارئ للخطاب وفهمه، فالحداثيون ينظرون إلى الأحكام

---

١- نصر أبو زيد،محاضرة في ندوة الذكرى المئوية على وفاة الكواكبي: "إشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا".

٢-الدكتور يوسف أحمد محمد البدوي،المصدر السابق، ص: ١١٦.

الشرعية ودلالات القصص القرآنية أو الأحكام المرتبطة بأسباب النزول بنت زمانها مرتبطة بتاريخها دلالة وتطبيقا، وغاية وحكما كما سيأتي بيانه.

## المطلب الثاني

## الأساس الثاني :اللغة

### في النظر المقاصدي:

تعتبر اللغة الركيزة الأولى للتعبير عن المراد من الرؤى والأفكار ونقل البلاغ إلى الناس فمدلولاتها اللفظية سواء كانت منطوقة أم مفهومة تدل على المراد من اللفظ القرآني،لذا فإن النّصّ القرآني منظوم بلسان عربي مبين، مؤلَّفٌ من جمل مترابطة تشكّل عناصر ذات دلالات خاصّة بها، وتتضافر هذه العناصر لتؤلّف كلاما يفيد قصدا دلاليا معينا.

ويقتضي النظر المقاصدي من خلال اللغة أن يكون للخطاب القرآني ثوابت يجب الوقوف عندها، ومتغير يكون عُرضة للاجتهاد والتأويل، ولا يصح أن يحوَّلَ الخطاب القرآني إلى ميدان للفهم الظّاهريّ الحرفيّ مطلقا ولا للفهم الباطنيّ ليتحول إلى كتاب رموز لا يُراد منه ظاهره بل يُراد منه فهمُ كلماتِه باعتبارها مصطلحات خاصّة ذات رموز معينة يستعصي فهمها.

وإذا تأملنا في الخطاب القرآني من خلال اللغة التي نزل به ومدلولاتها نجد أنه جاء معرِّفا بالأحكام الشّرعيّة بعمومها وشمولها، فالعموم المكاني والزماني، والشمول الجنسي والنوعي لكافة بني البشر، فجاءت الأحكام الكلّية مستوعبةً كلَّ الظّروف والأحوال والطّاقات، وكلّما اجتهد الفقيه، وتمكّن من تنزيل تلك الأحكام الكلّية – المجرَّدة من ظروف زمان بعينه أو مكان بعينه– على الوقائع والأقضية، أدرك المقاصد العليا للشريعة.

وهذا ناتج بأن القرآن الكريم كتاب هداية للناس جميعا ختم الله به الكتب السماوية،وكذا كتاب إقامة الحجة على الناس اقتضت طبيعة غاياته وضوحه للمخاطب، وفهم مدلولات ألفاظه، فأنزله الله بلسان القوم الذي أنزل عليهم ابتداء قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف: ٣ . وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم: ٤ .

**ويترتب على هذا الأساس:** استحضار القواعد اللغوية لفهم النص، وإدراك مقاصده، ومعرفة علله وأحكامه،و ذلك مثل عموم اللفظ وخصوصه، ومطلقه ومقيده، وظاهره الذي لا ينصرف إلى غيره إلا بدليل أو قرينة تدل عليه.

يقول الشاطبي-رحمه الله-:" فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة، فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، والظاهر يراد به غير الظاهر وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتتكلم بالكلام ينبئ أوله عن آخره وآخره عن أوله، وتتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمي الشيء الواحد بأسماء كثيرة والأشياء الكثيرة باسم واحد، وكل هذا معروف عندها، لا ترتاب في شيء منه هي ولا من تعلق بعلم كلامها"[1].

---

١- الشاطبي: المصدر السابق ج١ص٣٧٥.

**ومن هنا فإن** الشريعة " لا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم، لأنهما سيان في النمط... فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم "[١] ومن هنا كان على " الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولاً وفروعاً... أن لا يتكلم بشيء من ذلك حتى يكون عربياً أو كالعربي "[٢].

ويقول في نص كأنه يخاطب فيه معظم الحداثيين بأن على الناظر في القرآن أن يسلك في " الاستنباط منه والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها، ومنازعها في أنواع مخاطباتها خاصة، فإن كثيراً من الناس يأخذون أدلة القرآن بحسب ما يعطيه العقل فيها، لا بحسب ما يفهم من طريق الوضع، وفي ذلك فساد كبير،وخروج عن مقصود الشارع "[٣].

ذلك أن مقاصد الكلام مداره على معرفة مقتضيات الأحوال، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه باختلاف الأحوال، والجهل بالأسباب موقع في الانحراف في الظاهر ومفض إلى النزاع والاعتساف.

---

١- ينظر، المصدر السابق، ٤ / ٤٨٥: د. الريسوني،المصدر السابق ص ٢٣٦.

٢- الشاطبي،الاعتصام،٢ / ٢٩٣.

٣- ينظر: الشاطبي، المصدر السابق ١ / ٤١ و د. الريسوني " المصدر السابق.

وقد استند العلماء من أهل السنة إلى ضرورة اعتماد معهود العرب في الخطاب في رفض أي تفسير، أو تأويل باطني شيعي أو صوفي، أو غيرهما مما لا يخضع لمحددات المعهود، ولا للضوابط الشرعية[١].

ولذا ينبغي أن يكون فهم الأحكام في إطار عادة العرب في التخاطب أيام التشريع، وليس في إطار ما شهدته اللغة بعد ذلك من تطور وتوسع وتنام، سواء في مدلول ألفاظها، أو في مدلول نظمها، وأن هذا الموقف لا يغفل جوانب الاستفادة من ذلك التطور واستثماره في الفهم، إذ تكون الاستفادة في حدود دائرة استخدام اللغة العربية على عهد نزول الوحي[٢].

فالنظرة المقاصدية تراعي هذا المبدأ وتنطلق من دلالات اللفظ على المعنى وترمي للغاية التي أنزل لأجلها، واللغة التي خوطب القوم من خلالها.

**القراءة الحداثية:**

أما القراءة الحداثية فهي تقوم ابتداء على منهج غربي ف"تحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم معانيه الصحيحة وإبطال التفاسير الموروثة بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة"[٣].

---

١-ينظر:عمر عبيد حسنة، من فقه التغيير: ملامح من المنهج النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥، ص١٣٠-١٣١.

٢-عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، المحرم، ١٤١٠هـ. ح١، ص٩١-٩٢.

٣- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٥.

كما ترى القراءة الحداثية أن الدين واللغة في الخطاب القرآني" شكل روحي واحد أو بنية روحية واحدة لهذا يتكون من الغامض الذي لا يمكن أن يعرفه الإنسان ومن الواضح الذي يعرف مباشرة من ظاهر اللفظ، فهو أفق مفتوح، لكن على الغيب"[١].

وينظر الحداثيون إلى القرآن كمنتج ثقافي شأنه شأن القصيدة الشعرية.....فهم يرفضون الوظيفة الدلالية للغة؛ فالأشياء تظهر نفسها دون حاجة إلى الرجوع إلى اللغة، بل المحور هنا في الفهم والاستنباط هو القارئ نفسه إذ أنه يستدعي المعاني عبر النص، وعلى هذا تبقى الحقيقة التي يتضمنها الخطاب غير ثابتة نظرا لتغير القارئ واعتمادا على فهمه وقابلياته للتلقي[٢].

وإذا كانت القراءة الحداثية تركز على مسألة أنسنة النص، فإن النظر المقاصدي كذلك، إذ أن القرآن نزل بلغة القوم الذي أنزل عليهم ابتداء، وخاطبهم بما يفهمونه من ألفاظ، وما تدل عليه من معاني،لكن ما يفرق بين النظرين هو أن القراءة الحداثية تستهدف الكلمة ذاتها، فتتماهى مع الإنسان إلى أبعد مدى، وتأخذ دلالاتها من الشخص القارئ، فقد تختلف الدلالة باختلاف القراء، والمبرر لهذا المسلك أن القرآن الكريم بحكم أزليته الربانية، يحتمل عدة وجوه للقراءة "لئن آثرنا تجاوز مصطلحي التفسير والتأويل إلى استعمال مصطلح القراءة، فلأن التعامل مع (النص التأسيسي) يحتمل نظريا بحكم أزليته عددا لا متناهيا من المعاني، فسمة الإطلاق فيه تجعله يستوعب قراءات[٣].

---

١- أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، بدون سنة أو طبعة، ص٣٤.

٢- ينظر: إلى نصر أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ومحمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

٣- عبد المجيد الشرفي وآخرون، في قراءة النص الديني، بحث المنصف عبد الجليل، الدار التونسية للنشر، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٩٤.

وعلى هذا الفهم " فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية؛ عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة"[١].

بعكس النظر المقاصدي فهو ينظر إلى الخطاب القرآني كغايات ولغة خوطب البشر من خلالها ليفهموا دلالته وتقام عليهم الحجة من خلاله فـ" القرآن نص ينعقد مدلوله بأحوال متلقيه لا بأحوال مرسله، وهو لأنه كذلك، فإن التمثيل الوجداني الذي تضطلع أسلوبيته الفردية به، لا يقوم هنا على مثال مرسله، ولكن على مثال متلقيه. وبناء على هذا، يمكننا أن نقول: إن التحليل الأسلوبي لمضامين النص القرآني الوجدانية، إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي بالنص، دون أن ترسم انفعال المرسل، وذلك لسببين :

– لأن المتلقي (موضوع الخطاب ) يعتبر جزءاً من دلالة الخطاب نفسه، فهو المنفعل فيه من جهة، وهو الذي يجليه إن سلباً أو إيجاباً من جهة أخرى، وهو لأنه كذلك، يصبح أداة الخطاب في الدلالة على مرجعيته، فتتعين العلاقة بهذا بين الخطاب دالاً وما يشير إليه، أي مدلوله.

– لأن الله تعالى في التصور الإسلامي، لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء و" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " الشورى آية١١. وما دمنا ننظر إلى القرآن بهذا المنظور، فسنرى أن ثمة علاقة تجاذبية تقوم بينه وبين المتلقي. فالدال يدل من جهة أولى على متلقيه ويتعدد به. والمتلقي من جهة ثانية يرتبط به ارتباط المستدل بغيره على نفسه، وبه يتحول"[٢].

---

١– المصدر السابق، ص ٢٣.

٢– د. منذر عياشي، المصدر السابق،بتصرف ص ٢٣١–٢٣٢.

ولذا فإن النظر المقاصدي للخطاب القرآني ينطلق على أنه نص لا يأخذ معياره من خارجه بقدر قدرة من يقرأه، وإنما معياره داخلي فيه، فالغاية التي دل عليها الخطاب لا ترتبط بقدرة قارئ ما عن آخر.

والقراءة الحداثية في جزء منها تعتمد على الرموز والإشارات أكثر من اعتمادها على اللغة في بنيتها العربية ومدلولاتها البلاغية كما قال أركون :"وهناك من يكفر هذه القراءات بناء لا على ما فهمه واجتهد من إدراك مقاصد المؤلف، ولكن على أساس ما غاب عن فكره ومعلوماته، إذا كان لم يكتشف بعد تعاليم اللسانيات والسيميائيات[١] والانثربولوجيا والسوسيولوجيا الدينية والثقافية وعلم النفس التاريخي"[٢].

وعلى هذا لا عجب أن نجد من يقول "إن الشيء الذي يقابل يسوع المسيح في الإسلام هو القرآن بصفته الكتاب المقدس الذي يحتوي على كلام الله الموحى به، وأما يسوع المسيح بصفته تجسيدا لكلمة الله، فإنه يشبه المصحف الذي تجسد فيه كلام الله"[٣].

وهذا كلام لا يبنى على أساس، إذ أن عيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله من غير أب كما خلق أدم عليه السلام من غير أب ولا أم، أما القرآن فهو كلام الله مركب من حروف وكلمات منظوم من لغة القوم المخاطبين به ابتداء.

---

١ – السيميائية هي:''العلم الذي ينسق العلوم الأخرى، ويدرس الأشياء أو خصائص الأشياء في توظيفها للعلامات، ومن ثم فالسيميائيات هي آلة كل العلوم(علم العلوم)، لأن كل علم يستعمل العلامة، وتظهر تاليا نتائجه طبقا للعلامات، إذن هي العالم الواصف أو علم العلوم. ينظر: "بلوافي مَحمد" كاتب جزائري. بتاريخ ٢٠ أيار(مايو) ٢٠٠٩.

٢ – محمدأركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص ٧.

٣– محمدأركون، المصدر السابق، ص ٢٣.

## المطلب الثالث

### الأساس الثالث: المنهجية

تنبع الإشكالية بين النظر المقاصدي للخطاب القرآني والقراءة الحداثية من اختلاف المنهجية، فالنظر المقاصدي ينطلق من طريقة واضحة لا تتجاوز مدلولات النص ولا تحرفه عن مقاصده، فالعقل تابع للنقل في الأحكام الشرعية ف"إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية، فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعا، ويتأخر العقل فيكون تابعا"[١]. فالعقل غير مستقلٍ ألبتة، ولا ينبني على غير أصل، وإنما ينبني على أصل متقدم مسلم على الإطلاق ... ولا أصل مسلم إلا من طريق الوحي "[٢] " لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة "[٣]. ويضيف الشاطبي " وإذا ثبت هذا وأن الأمر دائر بين الشرع والهوى تزلزلت قاعدة حكم العقل المجرد، فكأن ليس للعقل في هذا الميدان مجال إلا من تحت نظر الهوى، فهو إذاً اتباع للهوى بعينه في تشريع الأحكام"[٤].

أما القراءة الحداثية فإن الغموض والتضارب المنهجي هو السمة البارزة في نظرتها إلى الخطاب القرآني :فهي لا تنطلق من منهج علمي محدد للتعامل مع الخطاب القرآني، بل تتبنى عدة مناهج مختلفة أو حتى متناقضة في الآن نفسه، فتجد الواحد منهم-الحداثيين-

---

١- المصدر نفسه ج١ص٧٨.

٢- الشاطبي،الاعتصام،مصدر سابق ١ / ٤٥.

٣- المصدر نفسه ١ / ٥٠ .

٤- المصدر نفسه ١ / ٥٢ – ٥٣.

مثلا يتبنى الماركسية والبنيوية[١] ونظرية التلقي[٢] في الوقت نفسه، رغم أن بعضها قام على على أنقاض بعض، مما يجعل هذا الخطاب بعيدا مطلقا عن الانسجام الفكري أو متسما باللامنهجية، وهذا مزية للبحث العلمي بالنسبة لمحمد أركون، ويسميه بالمنهج متعدد الاختصاصات[٣].

وقال في كتابه: "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني": "إن وجهة النظر هذه تتخذ أهمية حاسمة...لأنها هي وحدها التي تجبرنا على الربط بين مختلف أنواع المنهجيات التحليلية"[٤]، فهو من خلال المزج بين العديد من المناهج، ينتظر ولادة فكر تأويلي جديد للظاهرة الدينية، ويغطي على ذلك بما يسميه ب"الإسلاميات التطبيقية" التي يدعي أنها تحتاج إلى مناهج متعددة في نفس الوقت.

---

١-منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة. اشتق لفظ البنيوية من البنية إذ تقول: كل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها(أو نفككها) إلى عناصرها المؤلفة منها، بدون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها. ينظر: البنيوية، تأليف جان بياجيه – ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري – منشورات عويدات – بيروت – باريس، ط٤ ١٩٨٥م.

٢-هي نظرية في علم الإدراك وضع أسسها ألان بايفو(Allan Paivio :من جامعة University of Western Ontario.وتفرض النظرية أن إدراك المعلومة المرئية يتم بشكل مختلف عن إدراك المعلومة اللفظية وبواسطة قناتي إدراك مختلفتين ومنفصلتين. وبالتالي، يقوم الفرد بتمثيل المعلومة بشكل مختلف في كل حالة. وعند تنظيم أي معلومة "جديدة المعلومة"(أي معلومة تحتوي على معلومة جديدة)، فإنه يتم استعمال التمثيلين معا لتحويل المعلومة إلى معرفة يمكن تطبيقها وحفظها للاستعمالات المستقبلية. ينظر: نظرية التلقي: أصول ...وتطبيقات د بشرى موسى: المركز الثقافي العربي. المغرب / لبنان،ط ١ عام ٢٠٠١.

٣-ينظر :كتابه: "الفكر الإسلامي قراءة علمية"، ص١٢٥.

٤-المصدر نفسه ص٧٠.

والحقيقة أن اللامنهجية التي تنتهجها القراءة الحداثية قائمة على اسقاط الفلسفات الغربية واستنساخ القراءات للنصوص الانجيلية والتوراتية وكذا الأدب الغربي على الخطاب القرآني.

ولم يأل الحداثيون جهداً في توظيف أي علم من العلوم العصرية سواء ثبت نجاحها أم مازال خاضعا للأخذ والرد، وأسقطوه على القرآن والسنة، حتى غدا الخطاب القرآني حقل تجارب للمناهج الغربية الحداثية إذ " بتتبع واستقراء مختلف كتابات المعاصرين الداعية إلى فهم كتاب الله في ضوء المناهج الحديثة لتحليل الخطاب، لا نكاد نجد قاسما مشتركا بين مختلف الكتابات سوى تلك الرغبة الجامحة لإسقاط أي نظرية على النص القرآني دون مراعاة مدى توافقها معه أو مجافاتها له، والدارسُ اليومَ يستطيع أن يقرِّر...أنَّه ما من منهجٍ أو نظرية معرفية ظهرت إلا انعكس صداها في الدرس القرآني"[1].

وإذا كانت النظرة المقاصدية ترى بأن الدلالات القرآنية تستهدف تحقيق المصالح ودرء المفاسد، فإن القراءة الحداثية ترى بأنه ليس من شأن القرآن أن ينطق بالحقيقة دفعة واحدة، أو يفصح عن المعنى النهائي، وإنما يندمج في علاقة تأويلية مع الحقيقة، دون أن يحد من دينامية التأويل وتعارض القراءة وتناقضها، أو استغلاق النص عن الفهم، بل إن ذلك يقلّل من إمكانية استنفاذ الطاقة التوليدية للنهج الحداثي، ويدعم اثراء النص بكل جديد.

فنجد بأن محمد أركون "حاول الأخذ بعدة مناهج في قراءته للنص القرآني منها البنيوية فاللسانيات ثم السيميائيات، ثم انتقل إلى علم الأناسة والأنثروبولوجيا، ولعله

---

١-د.عبد الرزاق هرماس القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب جامعة قطر حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية العدد التاسع عشر ١٤٢٢هـ ص ٢٣.

يخلط أحيانا بين هذه المناهج كلها أثناء عملية القراءة[١] ذلك لأن القراءة الإيمانية حسب أركون لا تخدم القرآن الكريم ولا الفكر الإسلامي ف "ينبغي القيام بتحليل بنيوي لتبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة."[٢].

لقد كان محمد أركون مهووسا بتوظيف مناهج العلوم الغربية المعاصرة شكلا ومضمونا، والتي منها اللسانيات في فهم القرآن الكريم وقراءته، وذلك ما حدا به أن يقول:" ننتظر أن يتمَّ تناول القرآن من جميع الوجوه، وأن يخضع للقراءة والتأويل من قِبل جميع الفاعلين الاجتماعيين، مهما كان مستواهم الثقافي وتوجهاتهم المذهبية، وذلك للإجابة على مختلف الأسئلة العلمية والاكتشافات الجديدة لأنظمة القرآن في اللسانيات والتاريخ والأنثروبولوجيا والعقيدة والفلسفة[٣]".".

ومحمد أركون لا يقدم منهجا واضحا لقراءة القرآن الكريم من خلال اللسانيات، وغايةُ ما اقترح في هذا المضمار أن يطرح" المنطقُ اللغوي في فهم النصوص، وترك علوم اللسان العربي للبحث في بنية الكلام القرآن.[٤]

وعندما حاول أركون تطبيق المنهج الألسني المقترح في تفسير بعض آي القرآن الكريم، لم يستقم له ذلك، إذ رام سنة ١٩٧٤م " قراءة سورة الفاتحة"، وأعاد الكرة سنة ١٩٨٠م في " قراءة سورة الكهف"، حيث حشر في قراءته لهذه السورة ركاما من أقوال لفيف من

---

١ – د.عبد الرزاق هرماس،المصدر السابق ص٣١.

٢ – محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية،ت: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي،بيروت ١٩٨٧ص ٢٠٣.

٣ – المصدر نفسه.

٤ –د.عبد الرزاق هرماس،المصدر السابق ص٣٤.

المستشرقين، مما لا تعلق له بفهم آياتها، وأدرج ضمن ذلك نصوصا من تفسير الطبري والفخر الرازي مقطوعة من سياقها..[١]

والخلاصة: أن القراءة الحداثية للآيات القرآنية ليست منهجا علميا للتعامل مع الآيات القرآنية، يتميز بالحياد، ويستند إلى أصول وقواعد يحافظ على مقاصدها ومدلولاتها، وإنما هي خليط من الفلسفات والإيديولوجيات اتخذت كمنطلقات للتعاطي مع الآيات القرآنية، لهذا اصطبغت بمجموعة من السمات جعلتها قراءة موجهة مسطرة الأهداف مسبقا بعيدة عن الموضوعية والمنهج العلمي، ولا أدل على ذلك من جمعها بين مناهج متناقضة.

## المطلب الرابع

### الأساس الرابع: النص القرآني ومكانته

تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، وإذا كان الله تعالى قد أخبر بحفظه فدلالته على حفظ المقاصد الضرورية ثابتة في كل زمان ومكان كما هو محفوظ الحروف والآيات، وإذا قلنا بأن المقاصد تتلخص في تحقيق مصالح العباد في الدارين، فهناك قضايا ثابتة لا يمكن أن تتغير لتحقيق هذه المصالح لأسباب تتعلق بجيل التنزيل زمانا ومكانا،أو إن زماننا يقتضي غير ذلك.

---

١- المصدر نفسه ص١٠٨ هامش٢٤٨.

انطلق الحداثيون في نظرتهم للقرآن استنادا إلى ظنونهم بأن المفسرين الأوائل تستروا على الحقائق، والتي أبرزها اسقاط نصوص قرآنية في عصر التدوين والجمع للمصحف ف"الخطاب القرآني –وهو– البلاغ الشفهي من الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقف استدعت الخطاب، ولم تنقل جميعها بأمانة إلى المدونة الرسمية المغلقة"[١].

ينظر أغلب الحداثيين إلى القرآن الكريم على أنه منتج يخضع للاختبار وإعادة الإنتاج لمدلولاته من جديد((إنَّ النص القرآني في حقيقته وجوهره منتج ثقافي؛ والمقصود بذلك أنَّه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقا عليها، فإنَّ الإيمان بوجود ميتافيزيقي[٢] سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكِّر من ثَمَّ إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص"[٣].

و على أنه كلام من جنس كلام الناس يمكن دراسته ونقده،، وهذا أمرٌ متفق عليه بين أصحاب هذا التيار فـ" النص القرآني مثلا – عند نصر حامد أبي زيد– نص لغوي لا تمنع طبيعته الإلهية أن يدرس ويحلل بمنهج بشري، وإلا تحول إلى نص مستغلق على فهم الإنسان العادي مقصد الوحي وغايته"[٤].

---

١ – محمد أركون،نافذة على الإسلام، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للنشر١٩٩٦ ص ٦٥

٢ – هي أحد الأعمال الرئيسية لأرسطو، وأول عمل كبير يتحدث عن ما وراء الطبيعة يحمل نفس الاسم. موضوعه الرئيسي هو "فهم كونك مخلوق". ويدرس ما يمكن الجزم به حول شيء ما موجود فقط لكونه موجود، وليس بسبب أي صفات اكتسبها. كما يتناول أنواع مختلفة من العلية وجوهر الأشياء والمادة ووجود الأشكال الرياضية ووجود الله. ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢، ص ٣٠٠. وعبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤

٣ – نصر أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ص ٢٤.

٤ –نصر حامد أبو زيد نقد الخطاب الديني ص ١٢.

هاجم الحداثيون المفسرين القدامى، واتهموهم بالمشاركة في مؤامرة التستر على الاضطراب الذي حصل عند جمع القرآن الكريم، واقتصارهم في تفسيره على المعاني السطحية "فما عسى أن يكون موقف الباحث من هذه الظاهرة(يقصد ظاهرة إسقاط سور من القرآن الكريم من أبي بكر وعمر) لهو دليل على انعدام الحس النقدي عند السيوطي وأمثاله من المصنفين في عصر الجمود والانغلاق، فلقد انعدمت عندهم الرغبة في الاطلاع على خفايا الأمور وحقائقها، وانعدام التوق إلى كشف المجهول والملتبس فلا أثر لأي شك أو توتر، كما مات لديهم الشعور بإمكانية خطأ المتقدمين، وبالخصوص إن كانوا من الأجيال الإسلامية الأولى"[١]. وهذا كلام ساقط الاعتبار بالتواتر في طريقة جمع القرآن الكريم، سواء في عهد أبي بكر رضي الله عنه أو في عهد عثمان رضي الله عنه[٢].

يذهب(أركون) إلى أنّه من " المهام العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القرآني..، أي نقد القصة الرسمية لتشكيل القرآن، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية سواءً كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني، هكذا نتجنب كل حذف تيولوجي[٣] لطرف ضد آخر، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضاً محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً."[٤].

---

١ – علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ٢١.

٢ – ينظر: الزرقاني:مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٩٦/١-٣٩٧.

٣– تيولوجي لغة يؤخذ من الكلمتين الاساسيتين في لغة يونان تيوس ولوجوس .تيوس معناه الاله ولوجوس معناه القول والكتابه. فتيولوجي هو البحث علي الاله. تيولوجي هو المعرفة الالهية.

٤ – محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي،ترجمة:هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر،ص ٢٩٠..

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى الاتهام، قال أركون أيضاً: "نحن نعلم كيف أنهم راحوا يشذبون "قراءات القرآن" تدريجياً، لكي تصبح متشابهة أو منسجمة مع بعضها بعضاً، لكي يتم التوصل إلى إجماع أرثوذكسي"[١]. هذا رغم اعترافه بأنّ "البنية النصية للمصحف المشكل منذ عهد عثمان بن عفان تشهد بطريقة لا يمكن دحضها على تصور شامل لكل الوحي من قِبَلِ وعي لا يتجزأ،هذا التحليل، أيضاً، بالنسبة للكاتب، "يحرر المرء من أسر النصوص الدينية وهيبتها الضخمة التي تضغط عليه ما إن يبتدئ بقراءتها." "فالدراسة الحديثة للمجاز والرمز والأسطورة تتيح لنا القيام بقراءات أخرى للقرآن، مختلفة جداً عن تلك القراءات التي خَلَّفها لنا التراث التفسيري الكلاسيكي.[٢].

وابتكرت القراءة الحداثية للنص القرآني مفهومات جديدة، فالقرآن كما تراه " نتاج تجربة فردية قام بها محمد- النبي صلى الله عليه وسلم- في إطار زمن ومكان محددين، أدى فيه التاريخ دورا مهما في توجيه فكر الفرد واللغة المعبرة بها عن ذلك بالتاريخ"[٣].

وبناء على النظرة الحداثية للخطاب القرآني فيرى أركون أنه "ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط، والحذف، والإضافة، والمغالطات التاريخية؛ التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس"[٤].

---

١ – المصدر نفسه، ١١١.

٢ – أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص ٦٦.

٣ – د. الجيلاني مفتاح، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم: دراسة نقدية، الجامعة الإسلامية ماليزيا، دار النهضة الطبعة الأولى ١٤٢٧هص٧١

٤ – أركون، المصدر السابق، ٢٠٣.

ولا تتوقف النظرة الحداثية عند هذا الحد بل تتعداه إلى الاتهام بالإضافة والحذف والتشويه كما قال أركون مطالبا بالتحليل التاريخي والذي سيكون مهمته: " لا تتركز في الكشف عن المؤثرات التي أتت من مصدر موثوق وصحيح وهو التوراة، وبالتالي إدانة الأخطاء والتشويهات والإلغاءات والإضافات التي يمكن أن توجد في النسخة القرآنية بالقياس إلى النسخة التوراتية"[١].

فالنص القرآني عند الحداثيين، ليس سوى نص لغوي ينتمي إلى بنية ثقافية محددة، تم إنتاجه طبقا لقوانين الثقافة العربية، وعلاقة النص القرآني بالواقع، تجعل الفعل الإلهي يتم في إطار الطبيعة، وتحت تصرف القوانين الزمانية والمكانية. و"خطة التأنيس أو الأنسنة، التي تستهدف أساساً رفع عائق القدسية، بنقل النظر الى الآيات القرآنية الكريمة من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري، عبر أدوات لغوية واصطلاحية مفهومية، تعتمد حذف العبارات «التبجيلية» التقديسية(مثل: القرآن الكريم، الآية الكريمة، قال الله تعالى... الخ)، واستبدال مصطلحات جديدة ذات أبعاد مادية بما كان يتداول من مصطلحات ذات أبعاد ايمانية(مثل: «الظاهرة القرآنية» بدل «نزول القرآن»، و«المدونة القرآنية» بدل «القرآن الكريم» أو «المصحف الشريف»)، والتسوية في رتبة الاستشهاد بين الكلام الالهي والكلام الانساني، ليؤدي ذلك كله الى التركيز على السياق الثقافي للنص القرآني، وإشكالية فهمه وتأويله، وعدم استقلالية النص القرآني عن مصدره، وبيئته"[٢].

---

١ – المصدر نفسه ص ١٣٠.

٢ – ينظر: ما كتبه محمد أركون في محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، وما كتبه نصر أبو زيد، في نقد الخطاب الديني،وينظر:أحمد بوعود، الظاهرة القرآنية عند محمد أركون.

وتنظر القراءة الحداثية إلى الأمور الغيبية التي أخبر القرآن الكريم عنها، كالجنة وما فيها ما هي إلا خيال شعري، كما قال أركون: "أليس من الواجب علينا أن نتخلص من السخرية التي تتحدث عن جنة الله المملوءة بالحور العين وأنهار الخمر والعسل المرتبطة بالخيال الشعري لدى البدو"[١].

وعليه فإننا نجد من خلال كلام الحداثيين السابق، بأن ما توصلوا إليه حول الخطاب القرآني، عبارة عن دعاوى نمطية مكررة لا تقوم على بنية واضحة ولا منهج سوي ولا بحث مؤسس، بل قائمة على التقليد للمنهج الغربي بعيدة عن الإبداع والابتكار، بل من خلال سيادة العقل في التأويل والرأي المجرد عن الدليل حتى فيما يتعلق بالحقائق الغيبية والقضايا التي وردت فيها أحاديث صحيحة وقطعية الدلالة، وهو الشيء الذي لا يتوافق مع أصول وقواعد تفسير القرآن الكريم الذي سار عليها علماء المسلمين على مر الأزمان والعصور.

ثم إن القراءة الحداثية للآيات القرآنية؛ انطلقت من الفلسفات الغربية كمذهب أصل في منهجها، وتجعل التفسير- أو القراءة بالمصطلح الحداثي- تابعا، وهو بالذات ما يحصل عندما تُقرأ الآيات بخلفية علمانية أو تاريخية أو داروينية، بل إن بعض الحداثيين قد حاولوا التأصيل للحداثة مصطلحا ومفهوما من خلال القرآن نفسه[٢].

فالخلط بين القراءات والمناهج المتعددة لا تخرج رؤية واضحة ولا منهجية متكاملة مع كلام البشر، ناهيك مع كلام رب البشر.

---

١- محمد أركون، قراءات في القرآن، ص١٢.

٢- كمحمد الطالبي في كتابه: "عيال الله"، ص١٤٣.

وإذا وجدت منهجية واضحة لقراءة جديدة، فلا بد أن تبنى على الأصل الثابت، حفظ القرآن كحروف وآيات وسور مصونة من التحريف،والتبديل، والزيادة، والنقصان أولا، وحفظ أصول الدين وقواعده الكلية ثانيا.

## نتائج البحث

**مما سبق نستخلص الآتي :**

١- النظر المقاصدي: هو النظر في مدلولات الخطاب القرآني، بما يحقق الغايات التي أنزل من أجلها في دنيا الناس وأخراهم، بينما القراءة الحداثية هي النظر إلى الخطاب ذاته وقراءته بطريقة مغايرة لما قرأه الأولون، وما سيقرأه الأخرون.

٢- النظر المقاصدي يحقق كليات(على مستوى الحياة والمجتمع) ثابتة لا تتغير إلى أن تقوم الساعة، فدلالة الخطاب واضحة المعنى بينة المقصد، بينما القراءة الحداثية قد تفرض تفسيرا آخر، نظرا لمقتضيات،وتقلبات المنهج الذي تقوم عليه، وتعدد النظريات.

٣- قد تخدم القراءة الحداثية النظر المقاصدي، إذا انضبطت بقواعد وأسس واضحة، يمكن أن تقرأ النصوص الشرعية القراءة التي لا توافق هوى صاحبها، بقدر ما تحقق غايات النص ومقاصده.

٤- وقع أكثر الحداثيين في الخلط بين قراءة النص القراءة الواقعية كما يقولون، وفقه تنزيله، فالحكم الشرعي لا يمكن أن يتغير والمتغير هو تنزيله أو تطبيقه،بينما يرى الحداثيون أن التاريخية تجعل الخطاب القرآني الحامل للأحكام بنت الزمان والأشخاص التي نزلت بسببهم وفيهم، فينسفون القاعدة المشهورة :العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والتي تبنى عليها الأحكام بغض النظر عن أسباب نزولها وارتباطها بها.

٥- لعل أبرز ملاحظة يلاحظها المتتبع على دعاة القراءة الحداثية المجردة بمبادئها الغربية الصرفة، يجدهم لا يهتمون بتنزيل النص على واقع الناس كما يدعون، بل بعزله عن

حياة الناس، وعدم الدخول في خصوصياتهم سواء العبادات، أو المعاملات بمعناها الواسع الشامل لكافة مناحي الحياة.

٦- تطوير مناهج دراسة النص القرآني يمثل تبليغ الرسالة حسب العصر، ومقتضياته، وإقامة الحجة على العالمين،لكن ذلك لا يعني بالضرورة القطيعة مع المناهج القديمة، وعيبها والتقليل من جهد السابقين، ذلك أنها قامت على ضوء معايشتها للنص القرآني، وعلى وعي حقيقي بموقعه،بوصفه وحيا إلهيا،والمفهومات التي ولدتها تلك المناهج،إذا كانت تختلف في الجزئيات فإنها في المجموع لا تتناقض، بل تتكامل.

٧- الانطلاق من أسس واضحة في فهم آيات القرآن، وتنزيلها على الواقع يحقق المقاصد الشرعية،ويحفظ للقرآن الكريم قدسيته ومكانته، ويحافظ على الاتزان النظري، والعملي للمسلم.

٨- القرآن الكريم ليس نصا كبقية النصوص الأدبية والفكرية،يمكن للباحث المادي أن يخضعه لأدواته القاصرة،وإنما هو رسالة شاملة تستهدف إخراج الإنسان من الظلمات بكل أنواعها( السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية ) إلى النور.

٩- حدد القرآن الكريم والسنة النبوية أصولاً ثابتة، وقواعد كلية تخدم تحقيق مصالح البشرية وتحقق المقاصد الشرعية تمثل الثوابت، وتفتح باباً واسعاً للمتغيرات، تخدم النظرة المقاصدية المستندة على القواعد الكلية في كل مجالات الحياة.

١٠- أغلب القراءات الحداثية للخطاب القرآني استهدفت خلخلة كل الثوابت، مستفيدة من المناهج الغربية التي استهدفت الديانات المحرفة، وأرادت أن تسقطها على القرآن الكريم والسنة النبوية رغم ما بينها وبين الإسلام من بون شاسع.

# المصادر والمراجع


١- إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي(الشاطبي)، الموافقات في أصول الشريعة، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.

٢- إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي(الشاطبي)، الاعتصام، تصحيح الشيخ محمد رشيد رضا – مطبعة المنار بمصر بدون تاريخ الطبعة.

٣- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧١.

٤- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٥- أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

٦- أحمد الريسوني،نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالي للفكر الإسلامي١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٧- أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، بدون رقم الطبعة أو تاريخ الطبع.

٨- الان تورين،نقد الحداثة،ولادة الذات القسم الثاني، تحقيق: صباح الجهيم،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،١٩٩٨م.

٩- إلياس انطون الياس، قاموس الياس العصري، دار الجليل، بيروت،١٩٧٢.

١٠- أيمن صالح، تلقي النص الديني، إسلاميةالمعرفة،السنةالعاشرة،العدد(٤٠)،٢٠٠٥.

١١- باسم علي خرسان، مابعد الحداثة، دار الفكر . دمشق. بدون رقم طبعة وتاريخ الطبع.

١٢- الجيلاني مفتاح، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم: دراسة نقدية، الجامعة الإسلامية ماليزيا، دار النهضة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٣- الحسين بن محمد الأصبهاني الملقب بالراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق :محمد السيد كيلاني، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ودار المعرفة، بيروت — لبنان،.

١٤- حنا عبود الحداثة، عبر التاريخ مدخل إلى نظرية، اتحاد الكتاب العرب، بدون رقم طبعة وتاريخ الطبع.

١٥- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت،الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٦- الرازي، مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٧- روبرت دى بوجراند، النص والخطاب الإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٨- سعيد شبار، النخبة والأيديولوجيا والحداثة، مركز دراسات المعرفة والحضارة. الطبعة الثانية. ٢٠١٢م.

١٩- الطاهر ابن عاشور،مقاصد الشريعة الإسلامية،، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، دار الفجر، دار النفائس، الطبعة الثامنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٠- عبد الرزاق هرماس: القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب جامعة قطر حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية العدد التاسع عشر ١٤٢٢هـ

٢١- عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، الدار التونسية للنشر،١٩٩١م.

٢٢- عبد المجيد الشرفي وآخرون، في قراءة النص الديني، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٢٣- عدنان علي رضا النحوي الحداثة من منظور إيماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م.

٢٤- علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الخامسة — ١٩٩٣م

٢٥- علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٢٦- مجدي وهبة،كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٤م.

٢٧- مجموعة من المؤلفين(مجمع اللغة العربية)، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم — مصر، ١٩٩٤م.

٢٨- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة:هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بدون طبعة وتاريخ.

٢٩- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني. ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة.بيروت.٢٠٠١م.

٣٠- محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، تحقيق: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي،بيروت ١٩٨٧م.

٣١- محمد أركون،نافذة على الإسلام، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للنشر١٩٩٦م.

٣٢- محمد الباشا، الكافي معجم عربي حديث، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢م.

٣٣- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة السابعة١٩٩٧م.

٣٤- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، ١٩٧٩م.

٣٥- محمد بن يعقوب(الفيروزآبادي)، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٦- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، معهد الإنماء العربي، حلب، ١٩٩٦م.

٣٧- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٣٨- نصر حامد أبو زيد نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، بدون طبعة وتاريخ.

٣٩- نعمان جغيم طرق الكشف عن مقاصد الشارع ص: ٤٦، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٠- يوسف أحمد محمد البدوي،مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، دار النفائس الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م .

و الحمد لله رب العالمين على التمام، وما قدم جهد مقل فإن أصبت وأحسنت فمن الله وحده له الفضل والمن، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.